# رسائل النورسي في السجن... القيم التربوية والجمالية
# دراسة في تحليل الخطاب

## Nursi's Prison Writings: Their Educative and Ameliorative Value: A Study on the Analysis of Discourse


### ABSTRACT

*Dr. Hani Isma'il Muhammad*

There are many studies on discourse analysis, and they almost all agree that the main purpose of utilizing its tools is to know the ideas and denotations behind the discourse, and looking at Nursi's messages in prison, we find that they are very important. The importance of the messages of Nursi is not only in the educational and aesthetic values, but they were published in dire straits, which make them stand for a true artistical experience and a true objective reality. Therefore, the research is to understand deeply and analyze the discourse of this experience so that its educational and aesthetic values can be discovered.


* * *


### الملخص

د. هاني إسماعيل محمد[1]

تتنوع الدراسات التي تهتم بتحليل الخطاب وفك شفراته، وتكاد تجمع على أن الهدف الرئيسي من توظيف أدواته هي التعرف على ما وراءه من أفكار ودلالات، وبالنظر إلى رسائل النورسي في السجن وجدنا أنّ لها أهمية بالغة، حيث صدرت في وقت محنة وابتلاء، مما جعلها معبّرة عن تجربة صادقة فنيا، وواقعية موضوعا، ومن ثم يسعى البحث إلى قراءة هذه التجربة وتحليل خطابها، والكشف عن القيم التربوية والجمالية لهذا الخطاب.


* * *

### المقدمة

تتنوع الدراسات التي تهتم بتحليل الخطاب وفك شفراته، وتكاد تجمع على أن الهدف الرئيسي من توظيف أدواته هي التعرف على ما وراءه من أفكار ودلالات، فتحليل الخطاب يسعى إلى محاولة التعرف على الرسائل المتضمنة في الخطاب التي

يستقبلها المتلقي، من خلال وضعها في سياقاتها التاريخية والاجتماعية، فالخطاب "ظاهرة معرفية اجتماعية مركبة"[2] لا تتوقف عند الوظائف اللغوية فحسب.

وهذا يفرض وضع المتلقي وآليات التلقي في الاعتبار، ذلك أنّ الخطاب عند مايكل شورت "اتصال لغوي، يعتبر صفقة بين المتكلم والمستمع، نشاطا متبادلا بنيهما، وتتوقف صيغته على غرضه الاجتماعي"[3] ومن ثم فإن عناصر تحليل الخطاب تتكون من: المؤلف + الخطاب + المتلقي

لا يمكن إهمال أي عنصر منها، ورسائل النورسي في السجن لها أهمية كبيرة من جهة تحليل الخطاب؛ فهي صدرت في وقت محنة وابتلاء، مما جعلها كاشفة بصدق عن جوهره ومعدنه، ففي وقت المحن تظهر معادن الرجال.

وتحمل بين طياتها فيضا من القيم الجمالية والتربوية التي تجعلها نابضة بالحياة، معبرة عن الواقع وإشكالياته، يستلهم منها شباب الأمة روح الثبات والصمود المشبعة بالأمل والتفاؤل، فيعملون بكل جد ونشاط لإحياء الأمة والأخذ بيدها إلى نور الإيمان.

جاءت هذه الدراسة في تمهيد ومبحثين، بالإضافة إلى خاتمة شملت أهم التوصيات والنتائج على النحو التالي:

تمهيد: الرسائل ومبدعها

المبحث الأول: القيم التربوية للرسائل

المبحث الثاني: القيم الجمالية للرسائل

خاتمة بأهم النتائج والتوصيات

## التمهيد: الرسائل ومبدعها:

تمثل رسائل النور حالة استثنائية في تركيا والعالم الإسلامي، فقد صدرت في وقت عصيب على الأمة الإسلامية، إذ كانت تجتاح الأمة عاصفة التغريب وما تحمله من سعي دءوب لطمس الهوية ترغيبا وترهيبا، إبان سقوط الخلافة العثمانية، فكانت رسائل النور بمثابة شمعة في الظلمات التي تراكمت على الأمة الإسلامية بسبب الاحتلال ووكلائه في الوطن.

فانهالت على الأمة الإسلامية كتابات المستغربين من أبناء جلدتها، تلك الكتابات المليئة بالانتقاص من الحضارة الإسلامية عقيدة وفكرًا وتراثًا وقيمًا، كما انهالت علينا دعوات المستغربين الصريحة لاقتفاء أثر الغرب في سلوكه وأخلاقه ومنهجه، واتخذوا

من التطور المادي ستارًا لدعواتهم المناقضة لتقاليد الأمة وقيمها، وكأن العلم والتطور المادي لا يُدرَك إلا بفساد الأخلاق والتخلي عن فضائلها، والتمسك برذائلها.

هذا التلبيس لم يكن عبثًا أو جهلًا، بل كان -في معظم الأحيان- يصدر عن قصد وعلم، مدعومًا بالإرهاب الرسمي للحكومات التي سامت الأمة الإسلامية أصناف العذاب وألوان القمع من أجل نشر النمط الغربي في المأكل والملبس والمشرب.

لذا كان صدور رسائل النور في هذه الظروف حالة استثنائية تتعطش الأمة إليها حماية هويتها وكيانها من المسخ والطمس.

لقد نجح الغرب في طمس أمم من قبل مثل: الهنود الحمر في أمريكا، والسكان الأصليين لأستراليا، فكان يعمل -ولا يزال- على أن يجعل من الأمة الإسلامية فلكلورًا في متحف الفنون التاريخية.

ولكن كانت رسائل النور وصاحبها حائط صدٍ لتلك الرعونات الفكرية والمعنوية، فكانت رسائل النور أمصالا طعّمت بها الأمة ضد هذه الأمراض الجديدة، فقد قيّض الله تعالى النورسي لهذه الأمة في جميع الأمصار الإسلامية، فظلت الحميّة الإسلامية متأصّلة وقّادة متوهجة، قد تخبو ولكنها لم -ولن- تنطفئ بإذن الله.

هذا الانطباع الأول الذي يسري إلى القارئ عندما يطالع سيرة بديع الزمان النورسي، فهو رجل استثنائي جاء في ظروف استثنائية وكتب رسائل استثنائية.

تلك هي الظروف الاستثنائية التي ظهر فيها هذا الرجل الاستثنائي، فمن هو هذا الرجل؟ هو سعيد النورسي بديع الزمان (١٨٧٧-١٩٦٠) الذي سلك من نعومة أظفاره درب العمل للإسلام، وهُدي بفطرته النقية منذ صباه إلى سبيل الحق، فعمل بما عرَف، فقد رفضت نفسه الأبية أن يعيش حياة رغيدة فانية وإن طالت ألف ألف سنة، واختار أن يعيش حياة باقية وإن كانت في مشقة وكبد، فالخلود الحقيقي هو في الدار الآخرة، والسعادة الأبدية في جنات النعيم، والدنيا وإن طالت فهي قصيرة، فقد أدرك النورسي هذه الحقيقة الإيمانية بعد أن خيّر نفسه أي الأمرين تفضلين؟ فرغبت في خيار النعيم الأبدي وزهدت في الدنيا الفانية،[4] ومن ثمّ قاده هذا الاختيار إلى إدراك كنه الإيمان بالآخرة، وجوهر السعادة الأبدية، كما أدرك من خلالها مفهوم اللذة التي ضاع في متاهات البحث عنها فلاسفة ومفكرون على مر العصور، بينما ثبّت الله تعالى الأستاذ على هذا المنهج الرباني، وتلخص كلماته هذا المفهوم العقدي، قال:

"فكم يكون الإيمان بالآخرة إذًا كنزًا عظيمًا كافيًا ووافيًا لهذا الإنسان الوثيق الصلة بهذه الرغبات والآمال التي لا تنتهي، وهو لا يملك سوى جزء من الاختيار الجزئي،

ويتقلب في الفقر المطلق! وكم يكون هذا الإيمان محورًا للسعادة المطلوبة واللذة المبتغاة! وكم يكون مرجعًا ومدار استمداد وسلوة له تجاه هموم الدنيا غير المحصورة؟ فلو ضحى هذا الإنسان بكل حياته الدنيا في سبيل الفوز بهذه الثمرات والفوائد لكانت إذن زهيدة''.[5]

ويرجع النورسي تفضيل الإنسان للذة العاجلة مع ما فيها من عواقب وخيمة على اللذة الآخرة مع يقينه بها؛ إلى طغيان المادية على عقل الإنسان وفكره والتعامي عن رؤية العاقبة مما يترتب عليه ترجيح مقدار درهم من اللذة الماثلة على قنطار من اللذات الآتية، والسبيل الوحيد لإنقاذ الناس من هذا السفه هو إظهار الألم المبرح في تلك الملذات عينها والغالبة على حسهم، ويستشهد بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾. إبراهيم:٣

وما كان للنورسي أن يصل إلى هذا الفهم العميق لولا ما حباه الله به من فطرة نقية، وأسرة تقية، فالمصادر تذكر أن اسم والده ميرزا ولشدة ورعه وتقواه لقب بالصوفي ميرزا،[6] وأنه لم يَذُق حرامًا، ولم يُطعِم أولاده غير الحلال، حتى إنه إذا ما عاد بمواشيه من المرعى شد أفواهها لئلا تأكل من مزارع الجيران، أما أمه فاسمها نورية وكانت هي أيضا تقية ورعة، فعندما سئلت عن طريقة تربية أولادها، أجابت بأنها لم تفارق صلاة التهجد طوال حياتها إلا العذر الشرعي، كما أنها ما أرضعت أطفالها إلا وهي على طهر ووضوء[7]، في حين أن أخاه الأكبر الملا عبد الله كان قد سبقه لطلب العلم، وبه أعجب سعيد وعلى دربه سار في الطلب[8]، بل إنه في مستهل دراسته العلمية درس على أخيه ما يقارب السنتين، كما صرح هو بذلك.[9]

كان لهذه النشأة أثر عظيم في حياة النورسي العلمية والعملية، فما تركت هذه الأسرة التقية فرصة لشياطين الإنس والجن أن تجتال النورسي، فتحيد به عن الفطرة النقية والنفس السوية، ولم يقتصر دور الأسرة على توجيهه نحو العلم وطلبه، بل حلّته بالقيم الإسلامية والأخلاق الحميدة وخلته من أدران الدنيا ومغرياتها، ويبدو أن الأثر الأكبر كان لأمه بالرغم أنها توفيت قبل التاسعة من عمره، فعلى سبيل المثال يقسم لنا النورسي أن أرسخ درس تعلمه ودام معه مدى سني عمره؛ هو تلقينات أمه التي كانت تبثها إليه في طفولته، وتنشئه عليها ، حيث قال:

''أقسم بالله إن أرسخ درس أخذته -وكأنه يتجدد علي- إنما هو تلقينات والدتي رحمها الله ودروسها المعنوية، حتى استقرت في أعماق فطرتي وأصبحت كالبذور في

جسدي، في غضون عمري الذي يناهز الثمانين، رغم أني قد أخذت دروسًا من ثمانين ألف شخص''.[10]

هذه البيئة والتربية هي التي تفسر نبوغ النورسي وعبقريته، فقد نشأ في بيئة إسلامية، وترعرع في بيت إيماني، وتلقى العلم منذ نعومة أظفاره، وعلقت بنياط قلبه القرآن، وهو ما أسهم بشكل بارز في تكوين تلميذٍ عبقريٍّ ذاعت شهرته ''وهو لم يتجاوز بعد الخامسة عشرة من عمره، فأطلقوا عليه 'سعيدي مشهور' أي سعيد المشهور''.[11]

والمتأمل في سيرة سعيد النورسي يوقن أن الله تعالى اصطفاه لمهمة جلل، ورسالة عظيمة، ألا وهي إنقاذ إيمان تركيا والخلافة من الغرق في وحل العلمانية والتغريب، هذه المهمة التي نذر النورسي نفسه إليها، وتكبد من أجلها ما تكبد حتى إنه نفي وسجن، ولكن ظل يردد لتلاميذه في أشد الأوقات ضيقا ''إن الوقت الآن هو وقت إنقاذ الإيمان''.[12]

وقد أيقن النورسي هذا الاصطفاء الرباني، وأن الله تعالى هو الذي سير حياته لحكمة عظيمة، ومهمة كريمة، وأن كل ما أصابه من ابتلاء وعنت، كان تهيئة وإعداد رباني، يعبر عن ذلك قائلا:

''إنه في غضون هذه السنوات السبع من حياة النفي والاغتراب وعزلي عن الناس -دون سبب أو مبرر وبما يخالف رغبتي- أمضي حياتي في قرية نائية خلافا لمشربي، وعازفًا عن كثير من الروابط الاجتماعية التي ألفتها سابقًا، كل ذلك ولد لي قناعة تامة لا يداخلها شك من أنه تهيئة وتحضير لي للقيام بخدمة القرآن وحده، خدمة صافية لا شائبة فيها، بل إنني على قناعة تامة من أن المضايقات التي يضايقونني بها في أغلب الأوقات، والعنت الذي أرزح تحته ظلمًا، إنما هو لدفعي بيدي عناية خفية رحيمة إلى حصر النظر في أسرار القرآن دون سواه''.[13]

تعرض النورسي لمحن جسام وابتلاءات عظام، فهذه سُنَّة الله تعالى في الصالحين، فإن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل من الناس كما جاء في حديث سعد بن وقاص. أنه قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ أيُّ النَّاسِ أشدُّ بلاءً قَالَ: الأنبياءُ ثمَّ الصَّالحونَ ثمَّ الأمثَلُ فالأمثَلُ منَ النَّاسِ، يُبتَلى الرَّجلُ على حَسبِ دينِهِ، فإن كانَ في دينِهِ صلابةٌ زيدَ في بلائِهِ، وإن كانَ في دينِهِ رقَّةٌ خُفِّفَ عنهُ، وما يزالُ البلاءُ بالعَبدِ حتَّى يمشيَ على ظَهْرِ الأرضِ ليسَ عليهِ خطيئةٌ.[14]

ومن ثم فقد توالت المحن على النورسي منذ حداثة سنه، فكانت أولى محنه نفيه مكبلًا من ماردين إلى بتليس، وهو في عمر السادسة عشر، وليس ذلك إلا ''لأنه أبدى

نشاطًا دائبًا ومناصرة للمنادين بالحرية، واهتمامًا بالأمور الاجتماعية والسياسية، فقرر متصرف ماردين سوقه مكبلًا بالأغلال إلى مدينة بتليس''.[15]

كانت هذه بداية المحن لكنها لم تكن نهايتها، إذ تعرض النورسي للنفي والأسر والسجن، بيد أن كل هذا لم يثنِ من عزمه، ولم يجعله يحيد عن هدفه، بل وقف كالطود العظيم يجابه ويواجه أفكار الانحلال والانحراف، ويفند الشبهات والمطاعن، يذود عن حياض الإسلام ودستوره الرباني القرآن الكريم، فكانت المحن منحًا ربانية، وفيوضات إلهية، انسالت حروفا من نور ومدادًا من مدد.

ولا غرو أن نجد رسائل النور تنبثق من ظلمات المحن وغياهب الشدائد، فقد شرع في كتابة رسائله بعد اقتياده من صومعته من جبل أرك إلى منفاه القسري في بارلا، فجاءت رسائل النور استلهامًا من القرآن الكريم، وتعبيرًا صادقًا عن الدروس المستفادة من الابتلاءات التي مرّ بها النورسي، فكانت له ولطلابه تثبيتًا على الحق، وترسيخًا للإيمان، كما أنها أصبحت لمن بعدهم بريق أمل، فإن مع كل عسر يسراً، ومن رحم كل محنة منحة ربانية، وما بين النصر والهزيمة إلا صبر ساعة.

لم استطرد في سرد سيرة الرجل فسيرته حافلة بالأحداث العظيمة والمواقف العظمى، ومن ثم قصرت البحث على القيم التربوية والجمالية في رسائله التي أرسلها إلى تلاميذه من سجنه في دنيزلي والتي ضمها الشعاع الثالث عشر.

لبث النورسي في سجن دنيزلي أو ما أطلق عليه المدرسة اليوسفية من ٢٠ أيلول ١٩٤٣ إلى ١٥ حزيران ١٩٤٤، أي ما يقارب التسعة أشهر، ''تعرض فيها أيضًا إلى محاولة تسميم دبرتها له بعض الأيدي الخفية، ولكن االله تعالى نجاه منها''[16] وحكى النورسي الدوافع والأسباب التي زُجَّ به في السجن بسببها، فقال: ''بدأ أعداؤنا المتسترون يحرّضون علينا بعضًا من المسئولين، وبعضًا ممن يعتدّون بأنفسهم، والمغرورين من العلماء والمشايخ الصوفية، فأصبحوا الوسيلة في جمعنا في تلك المدرسة اليوسفية 'سجن دنيزلي' مع طلاب النور القادمين من عدة ولايات''.[17]

وجهت له المحكمة قائمة تهم شملت ''تأليف جمعية سرية، وتحريض الشعب على الحكومة العلمانية، ومحاولة قلب نظام الحكم، ثم تسمية مصطفى كمال بالدجال والسفياني''[18] وهي ذاتها التهم التي وجهت له من قبل في محاكمة أسكي شهر، وبالرغم من إجماع المحكمة على تبرئته هو وطلابه إلا أن السلطات -حينئذ- أصرت على اعتقاله، ونفيه إلى أميرداغ وعمره يومئذ يناهز السبعين خريفا، فقد جاء في تقرير الخبراء ما نصه: ''إنهم ''أي تلاميذه'' ارتبطوا بسعيد بسبب مؤلفاته العلمية الدقيقة

إنقاذًا لإيمانهم وآخرتهم، ولم نجد أية أمارة أو صراحة تشير إلى سوء قصدهم تجاه الحكومة لا في مراسلاتهم ولا في كتبهم".[19]

## المبحث الأول: القيم التربوية للرسائل:

تتجلى القيم التربوية في رسائل النورسي المستفادة من تجربة السجن من جهة كونها نابعة من ذات صادقة مع نفسها، ففي المحن تتعرى النفس من كل حظٍّ ومطمع، فليس ثمة مغنم تسعى إليه، لا سيما أنها تقاسي ألم السجن، وعذابات الوحدة، وفي هذه اللحظات القاسية يظهر جوهر الذات وحقيقة النفس، "فالمقامات الشخصية والمزايا التي يضفيها حسن الظن على الأشخاص تتزلزل وتتصدع في مثل هذه الأحوال المضطربة المزعزعة".[20]

وكثيرًا ما تنتكس النفوس الضعيفة وتوثر التخلي -بدل التحلي- عن كل القيم التي اعتنقتها وتبنتها من قبل، وفي المقابل تُنقى النفوس الزكية وتصفو، فتزداد إيمانًا على إيمان ونورًا على نور، ويتفتق من جنباتها خطاب مفعم بصدق المشاعر المشوبة بحنكة المُجرِّب وحكمة المُقرَّب، وهو ما تضمّنته رسائل النورسي في السجن، وصدق الله تعالى إذ يقول في كتابه المجيد: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾،[آل عمران:١٤٢] وبهذا الصدد توقفت عند القيم المتدلية من نصوص الرسائل:

**قيمة التفاؤل والأمل:** لعل أولى القيم التربوية التي نلمسها التفاؤل والأمل، فهو ينظر إلى الواقع والظروف الراهنة نظرة موقن بفرج الله، ومؤمن بقدره، يرى الخير كله في قدره وحكمه، وهو ما جعله يطلق على السجن اسم المدرسة اليوسفية، ومن ثم يتحول مفهوم السجن من محبس سالب للحرية إلى مدرسة مانحة للمعرفة، وقد تحول السجن -كما تنبأ النورسي- إلى مدرسة علمية بالفعل، وأصبحت السجون على أيدي طلاب النور مدارس بدلا من محابس، وهو ما نعاينه في قوله: "إنك قد أطلقت على السجن اسم المدرسة اليوسفية، وقد وهب لكم سجن دنيزلي من النتائج والفوائد أضعاف أضعاف ما أذاقكم من الضيق والشدة، ومنحكم فرحًا شديدًا وسرورًا عظيمًا وغنائم معنوية كثيرة، واستفاد المساجين معكم من رسائل النور، وقراءة رسائل النور في الأوساط الرسمية العليا وغيرها من الفوائد، حتى جعلَتْكم في شكرٍ دائم مستمر بدل التشكي والضجر، محولة كل ساعة من ساعات السجن والضيق إلى عشر ساعات من العبادة؛ فَخَلَّدتْ تلك الساعات الفانية".[21]

إن ما عاناه النورسي من عذاب في سجن دينزلي كان أشد وأشرس مما كان تعرّض له في سجن أسكي شهر، فقد صرح أنّ ما حدث له في يوم واحد في دينزلي عادل شهرًا مما كابده في أسكي شهر، وبالرغم من كل هذا فإن الأمل واليقين في فرج الله لم ينقطع عنده، بل أكّد على "أن المصائب الدنيوية الزائلة تنتهي بالأفراح والخيرات على الأكثر"[22] ولم يقف بالأمل والتفاؤل عند هذا الحد، بل قذف به النورسي إلى المستقبل، فاستشرفه وبث البشرى لتلاميذه في لحظات انتظروا فيها الإعدام أو الحكم بالسجن على أقل تقدير، بشارة ترجمها قوله لأصحابه في السجن: "لا تقلقوا يا أخوتي ستسطع تلك الأنوار".[23] ولقد سطعت بالفعل وتحقق ما استشرفه.

تكاد قيمة التفاؤل لا تنقطع في رسالة من رسائل النورسي، مما يؤكد على أنها قيمة متأصلة في جذوره وراسخة في نفسه، فضلا عن أنه يهدف بتكرارها إلى غرسها في نفوس طلابه، وترسيخها في نفوسه، ومن نافلة القول التأكيد على أن القنوط يتنافى مع القيم الإسلامية ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾الحجر:٥٦ بينما التفاؤل والأمل من القيم الإسلامية الأصيلة.

يستشف مما سلف تقريره أنّ استشراف النورسي ونظرته التفاؤلية نابعة من عقيدته الإسلامية، ومن إيمانه الراسخ، ذلك الإيمان الذي عمل على إنقاذه في نفوس طلابه بصفة خاصة، وفي نفوس الأمة بصفة عامة، بعد أن لُوِّث بدعاوي الإلحاد، وشبهات الإنكار، المدعومة بالإرهاب الرسمي والعلني من حكومات صنيعة تعادي الأمة.

**قيمة إنكار الذات:** الإيثار وإنكار الذات قيمة أثنى عليها القرآن الكريم ومدح المتصفين بها بالفلاح ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾الحشر:٩ وقد تجلت هذه القيمة القرآنية في رسائل النورسي عامة وفي رسائل دنيزلي خاصة، توجّه النورسي إلى تلاميذه بخطاب انبجست منه المشاعر الفياضة، مشاعر الأب الحنون والمربي العطوف، فعبّر عن سعادته بمحبسه لأنه بقرب تلاميذه، ويغازل خيالهم من شدة تعلقه بهم، قال:

"إخوتي الأعزاء، إنني محظوظ جدًا لوجودي بقربكم، وأخاطب أحيانًا خيالكم فأجد السلوان" ولأنه مربٍ وأب شفوق يتألم لألمهم ويتمنى لو أنه يحمل عنهم كل آلامهم، فيألم ويستريحون، ويشقى ويسعدون، يخاطبهم قائلا: "اعلموا أنه لو كان من المستطاع لتحملت جميع مشاقكم وضيقكم، وبكل فخر وسرور".[24]

لم ينحصر إنكار النورسي لذاته في دائرة طلابه فحسب، بل تفاني في إنكار ذاته من أجل الأمة وإنقاذها من براثين الإرهاب الفكري والإرهاب الحكومي، فتوجه بالشكر

والحمد لله لأنه أوصله إلى حالة روحية جعلته متصدقا بعرضه وشرفه رغبة في تحقيق الأمن والأمان للمستضعفين، ودفعا للبلاء عن للمضطهدين، ومن ثم قرر تحمّل جميع الإهانات والاتهامات من السلطة الغاشمة، ''في سبيل استتباب الأمن والنظام في ربوع البلاد، ولا سيما لراحة الأطفال الأبرياء، والشيوخ الموقرين، والمرضى الضعفاء، والفقراء، وسعادتهم الدنيوية والأخروية''.[25]

تلك السعادة التي سعى النورسي بكل جهد جهيد إلى جعل كل مسلم مستعد لينلها، بل كل إنسان، لذا كان متسامحا مع جلاديه ومشفقا عليهم، فتألم لحالهم، وحزن لأمرهم، حالة من التجرد وإنكار الذات لا يبلغها إلا الصادقون المصدَّقون، المخلِصون المخلَصون، حالة حوّلت شهوة الانتقام إلى رأفة الإخوة وحنان الأبوة، فالقلب الذي امتلأ بالحب للمسلمين لا ينبت فيه كره أو غل لأحد مهما كان، عبّر النورسي عن ألمه لحال معذبيه، وحرصه على إنقاذ إيمانهم، بقوله: ''أتفكر في الذين عذبوني بناء على شكوك وظنون، وأتألم لحالهم تألمًا حقيقيًا فأقول: يا رب أنقذ إيمان هؤلاء برسائل النور، وحوّل موتهم بسر القرآن من الإعدام الأبدي إلى تذكرة تسريح من الحياة، وأنا بدوري أسامحهم وأصفح عنهم وأتنازل لهم عن حقي''.[26]

لقد شغله هَمّ الآخرين عن ذاته، حتى أصبح متألما لهم بدلًا من التألم منهم، فأفنى ذاته في أمته، بحثا عن السعادة في الدارين لها، صنع من رسائله نورًا ساطعًا كشف لهم ظلمات دروبهم، وأنار لهم طريق الإسلام.

**قيمة الأخوة في الله:** أعلى القرآن الكريم من رابطة الأُخُوَّة، وحصرها في المؤمنين دون سواها، وقدمها على ما سواها من روابط سواء أكانت روابط دم ونسب، أم رابط وطن وبلد، فقال عز وجل ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.[الحجرات:١٠]

ولما كان النورسي رجلا قرآنيا، اقتبس من نوره نورًا لرسائله، وزادًا لطلابه، فجاءت رسائله تدعو إلى الأخوة والحب في الله، وأكدت لهم قوة هذه الرابطة الإسلامية، فقال لتلاميذه ''أنتم أقوى أخوة من أشقاء النسب'' وهو ما يستوجب على الأخ أن يتغاضى عن زلات أخيه، ويعفو عن هفوته ''فالأخ يستر تقصير أخيه، ويتناسى نقصه، ويصفح عنه''.[27]

ضرب الأستاذ أروع مثال فيما دعا إليه من العفو والصفح عن الإخوان والتجاوز عمّا اقترفوه من زلات وهفوات، حتى إن كانت نتيجتها المصائب والبلاء، وفي مقدمتها السجن ظلمًا وعدوانًا، خاطب تلاميذه بروح سمحة، وقلب صاف، ''أطمئنكم مقسمًا بالله إنه بالرغم من أن لي نصيب في هذه المصيبة أكثر من كل منكم بعشرين أو

ثلاثين درجة، فلا أستاء ممن سبب هذه المصيبة بنية خالصة ومن جراء فعاليته في الخدمة وعدم أخذه بالحذر، بل حتى لو تضاعفت هذه المصيبة بعشر أمثالها فلا امتعض منهم ولا أستاء''.[28]

أوردنا -آنفا- حب النورسي الشديد لتلاميذه بلغ درجة الهيام بأطيافهم، هذا الحب الذي حوّل السجن إلى جنة، إحدى ثمارها لقاء الأخوة، فلقاء الإخوان يذهب الأحزان، ولقد صرح بذلك في إحدى رسائله لطلابه،[29] وعَدَّ رؤية الأحباء وأخوة الآخرة، يبدل المصيبة إلى عناية إلهية ونعمة ربانية.

ولما كانت رسائل النورسي في السجن رسائل تربوية في الدرجة الأولى عملت على إعداد جيل رباني، وشباب قرآني، لم تكن نظرته إليهم نظرة مثالية أفلاطونية، تحلق في عالم الخيال بعيدًا عن واقع الحياة، أو واقع النفس البشرية، لهذا نجد النورسي يشخص أدواء تلاميذه، وحاول معالجتها بالمنهج الرباني، فأوصاهم بـ ''المحافظة على قوة التساند والأخوة، وذلك بإبداء التضحية وترك الأنانية والتواضع قدر الإمكان''،[30] وطالبهم بالحذر من الشيطان والنفس، حتى لا تحدث فرقة واختلاف بين بعضهم بعضًا، وأن التسامي بالمشاعر هو الوسيلة الوحيدة لمواجهة المخربين ودعاة الإلحاد الذين يسعون لإفساد الشباب داخل السجن.

كما طالبهم بعدم معاتبة من كان سببًا في وقوع المحنة، فهو أمر دُبِّرَ بليل، ودعاهم إلى التصالح ونبذ الخصام، مؤكدًا لهم على ثقته فيهم وفي إيمانهم، لعلمه بأنّه متعامل مع بشر لهم محاسن ومساوئ، ولحظات قوّة وضعف، وإن كانت سريرتهم نقية، وقلوبهم صافية، ويؤكد أن ما بدر منهم سببه النفس الأمارة بالسوء، قال الأستاذ:

''فأنا هنا أحيل اختلافكم وأنانيتكم غير المتوقعة إلى النفس الأمارة، ولا أجده لائقا بطلاب النور، بل أعدّه نوعًا من أنانية مؤقتة، توجد في أولياء صالحين، أيضا، ممن غلبتهم نفوسهم الأمارة، فلا تخيبوا يا إخواني حسن ظني بكم بالإصرار والعناد. تصالحوا''.[31]

خطاب مربٍّ بصير بالنفوس، عَلِمَ خباياها، مما قد لا يعلمه المرء من نفسه، وهو خطاب مفعم بالعاطفة، والتربية بالحب فوضع أيديهم على الداء، وأكّد لهم أنه داء خطير لا يصدر إلا عن النفس الأمارة بالسوء، وفي ذات الوقت أكّد لهم أن هذا الداء مع ما فيه من خطورة قد لا يخلو منه الأولياء الصالحين أمثالهم، لذا يجب عليهم أن يداووا أنفسهم ويتخلصوا من هذا المرض القلبي، ولا خلاص منه إلا بالتصالح وتفعيل قيمة الإيثار، مؤكّدا على أنّ التصالح ليس هينًا على النفس إذ قد يعاند الإنسان

ويكابر، فحذرهم مما قد يُتوَهم أن يقعوا فيه، وحفّزهم على مواجهة هذا الداء بحسن ظنه فيهم، فجاء الخطاب بعاطفة أبوية جيّاشة ممزوجة بخبرة المربى.

## المبحث الثاني: القيم الجماليّة في الرسائل

قبل عرض القيم الجمالية في رسائل النورسي في سجن دنيزلي، يتعيّن التأكيد على أنّ المحن التي مرّ بها النورسي كان لها أثر جلي في جماليات الخطاب على مستوى الرؤية والأداة، مما أسهم في تكوين خطاب نابض بالألم المشوب بالأمل، خطاب اعتصره الهم الفكري، وأرّقه سمو الهدف، فالنورسي صاحب قلم نازف يبث وعيا ولا يسرد، ''وليس النورسي صاحب قلم باردٍ يغمسه في مداد فكر بارد، ليكتب ما يشاء وقتما يشاء، إنما هو المعاناة الجريحة المدماة التي تنزف فكرًا فيه حرارة الروح، ودفء القلب، وإنما هو السحابة المثقلة بماء الحياة والتي لا يدري أحدٌ متى تبرق وترعد وتغيث''.[32]

كما يجب التأكيد على أن جماليات الخطاب في رسائل النورسي بصفة عامة نابعة من جمالية النص القرآني الكريم، ذلك النص الخالد الذي خلب الألباب بسحر بيانه وأذهل العقول بجمال نظمه، وأطرب القلوب بلحن نغمه، ولقد أدرك الأدباء قديما وحديثا ذلك فنهلوا من نبع بلاغته، وارتووا من عين فصاحته، ''ولقد استيقن سعيد النورسي أن القرآن هو المبتدأ والختام، عند الأديب المسلم، فعكف عليه مغترفا، فظهر ذلك في أدبه إبداعًا وتنظيرًا''،[33] فجاءت رسائله مشرقة بإشراقة القرآن، تستلهم حكمة خطابه، وجماليات نسقه.

ومن نافلة القول الإشارة إلى أن النورسي بدأ حياته الدعوية دفاعًا عن القرآن الكريم، فقد أثار حفيظته ما قرأه في إحدى الجرائد ''أن وزير المستعمرات البريطاني غلادستون قال في مجلس العموم البريطاني، وهو يخاطب النواب وبيده نسخة من القرآن: ''ما دام هذا القرآن بين أيدي المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود، أو نقطع صلة المسلمين به''؛ لذلك صمم على أن يكرس كل حياته لإظهار إعجاز القرآن، وربط المسلمين وقال: لأبرهنن للعالم أن هذا القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها، ولا يمكن إطفاء نورها''،[34] وقد وفى بما عاهد الله عليه، وبرهن عن هذه الشمس بقبس نوري منها.

وقد أشار النورسي إلى أثر القرآن الكريم، وفيوضاته عليه، فقال: ''أرى القرآن منبع كل الفيوض، وما في آثاري من محاسن الحقائق ما هو إلا من فيض القرآن''،[35] وهذه نتيجة سننية لمن انشغل بالقرآن تلاوة لحروفه وتذوقًا لنظمه وتدبرًا لآياته، وهو

ما يستدعي قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾،فصلت:٤٤ ''فإن مشاهدة جمال القرآن تابعة لدرجة سلامة القلب وصحته؛ فمريض القلب لا يشاهد إلا ما يشوّه له مرضه، فأسلوب القرآن والقلب كلاهما مرآتان ينعكس كل واحد في الآخر''.[36]

ولا ريب أن نفس النورسي امتزجت بالقرآن فشاهدت جمال أسلوبه ودقة تعبيره، ولا شك أن إبداعه في الرسائل نتاج هذا الامتزاج الطاهر فكتب بمداد قرآني أسلوبًا وفكرًا، حتى صار ''شاعري الروح والنفس، وجداني الانسياب، رشيق في صوره وأخيلته، مع عمق أفكاره ودقيق معانيه''،[37] وهو ما تجلى بصورة واضحة في محنة دنيزلي، والتي سنعرض الآن لبعض قيمها الجمالية الجمة.

١- التناص القرآني: تَعج رسائل النورسي في سجن دنيزلي بالتناص القرآني، والتناص في مفهومه الأدبي يعبر عن هذا الاستلهام الوجداني والاستدعاء الفكري للمخزون الثقافي والموروث المعرفي، وبالتالي توظيفه فنيًا في بنية الخطاب، وعليه يمكن اعتماد تعريف جرارد جنيت Gérard Genette للتناص بأنه ''حضور متزامن بين نصين، أو عدة نصوص، أو هو الحضور الفعلي لنص داخل نص آخر، بواسطة السرقة أو الاستشهاد أو التلميح''[38] فالتناص يرصد تلك العلاقة التفاعلية التي يقيمها النص مع غيره من النصوص الواقعة في مجاله الحواري والتي تم استدعائها معرفيا؛ ''وتأسيسًا على ذلك؛ فمن المفاهيم الأساسية التي يؤديها مفهوم التناص في النظرية النقدية الحديثة هي الوظيفة التحويلية والدلالية؛ إذ أن الأمر لا يتعلق بإعادة إنتاج المادة المقتبسة بحالتها القائمة الأولى؛ ولكن بتحويلها ونقلها وتبديلها''[39] إلى نسق جديد، وتجربة وليدة تمتاز بالأصالة والحداثة معا، فتؤدي رسالة مفارقة وموافقة في آن.

وأولى صور التناص القرآني في رسائل النورسي التي وجهها إلى تلاميذه من سجن دنيزلي، استلهام قصة يوسف عليه السلام وإطلاق اسم المدرسة اليوسفية على السجن، وهو ما يستدعي تجربة سيدنا يوسف عليه السلام، والمحن المتتالية التي مرت عليه مذ تآمر إخوته، عليه مرورًا بإلقائه في الجب، وانتهاء بالزج به في السجن زورًا وبهتانًا، بينما كان العناية الإلهية تتولاه، والقدر الرباني يعده ويهيئه لأمر جلل، هو إنقاذ الناس من فقر القوت والقلوب معا.

هذا التناص ألهم النورسي الصبر والسكينة، فضلا عن الثبات واليقين، في لحظات المحنة والشدة التي أصابته نفسيا وبدنيا في سجن دنيزلي، يصف لنا هذه الحالة

المتردية وكيف كان استلهام قصة يوسف طوق نجاة ومصدرًا لتجديد الإيمان، يقول النورسي:

''فبينما كنت أتقلب من شدة الحمّى المتولدة من البرد، وأتململ من حالتي النفسية المتضايقة جدًا، انكشفت في قلبي حقيقة عناية إلهية، ونُبهتُ إلى ما يأتي: إنك قد أطلقت على السجن اسم المدرسة اليوسفية، وقد وهب لكم سجن دنيزلي من النتائج والفوائد أضعاف أضعاف ما أذاقكم من الضيق والشدة، ومنحكم فرحًا شديدًا وسرورًا عظيمًا وغنائم معنوية كثيرة''

وقد توالى التناص القرآني لآيات العناية والرعاية الإلهية، كما هو واضح في توظيف قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾الطور:٤٨ التي يؤكد النورسي على أنه شاهد شهود اليقين السلوان التام والصبر الكامل الذي يبعثه معناها الإشاري.[40]

وختم النورسي الرسالة نفسها بتناص قرآني آخر، هو قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، البقرة:٢١٦ داعيًا تلاميذه إلى الاسترشاد بها.[41]

وإن كان التناص في الآيتين السابقتين يدعو للصبر والرضا بقضاء الله وقدره فإن التناص القرآني يتطور في باقي الرسائل ليتجاوز مرحلة الصبر على البلاء إلى مرحلة اليقين بالفرج والفوز، حيث سرد النورسي خمس آيات متتالية تؤكد على حفظ الله لأوليائه، يسرد النورسي هذه الآيات: ﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾الحج:٣٨ ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾الحديد:١٢ ﴿اللهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾الشورى:٦ ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾، الرعد:٢٩ ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا﴾التحريم:٨ مؤكدًا على أنها لفتت نظره عندما كان يفكر في كيفية الدفاع عن إخوانه أمام قاضي التحقيقات، وفي موضع آخر يأتي التناص القرآني قاطعًا بالنصر، حاكمًا بين أهله وأعدائه، ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾المائدة:٥٦ مما حدا بالنورسي أن يعلن في محبسه أنه غالب منتصر لا مغلوب منهزم ''إننا لسنا مغلوبين أمامهم، ليقضوا ما هم يقضون، فالآية الكريمة ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ تبشر بظهورنا عليهم منذ اثنتي عشر سنة''.[42]

ولا يخفي القيمة الجمالية لهذا التناص القرآني التي تشحذ النفوس بقوة إيمانية لا يضاهيها قلم أو كلم، فالنص القرآني يملك روحا سماوية وسحرًا بيانيًا، لا يملك المتلقي إلا الانقياد إليه، والاستسلام لروعة بيانه، وقوة حجاجه.

## ٢- استدعاء الشخصيات التاريخية

لله در القائل:

اقرؤوا التاريخ إذ فيه العبر ضل قوم ليس يدرون الخبر.

يكرر التاريخ نفسه ومن يقرأه قراءة فاحصة يستشرف المستقبل ويدرك الواقع في الغالب الأعم، وقد كان للنورسي ثقافة موسوعية جعلته يطلع على الموروث التاريخي لأصحاب الدعوات، الذين وقفوا بالمرصاد لمعاول الهدم، وأنقذوا الأمة من الاستلاب الثقافي، والاستعمار الفكري، وهو ما يفسر استدعاء النورسي لشخصيات تاريخية حملة الرسالة وأدت الأمانة، برغم ما عانت من اضطهاد وظلم وابتلاء.

لم يكن هذا الاستدعاء محض صدفة أو عفو خاطر، بل جاء معبرًا عن توافق الرؤى، واتحاد الغاية والهدف، مما حدا بتشابه التجارب والخبرات، وربما كلمة النورسي عن جلال الدين الرومي تلخص هذا المعنى إذ قال: ''لو كان مولانا جلال الدين الرومي في هذا العصر لكتب رسائل النور ولو كنت أنا في ذلك العصر لكتبت المثنوي''.[43]

وبناء على ذلك فإن استدعاء النورسي للشخصيات التاريخية كان استشرافًا لمستقبل الدعوة، وسلوى لواقعها، فجاءت الشخصيات في رسائله من الشخصيات التي يشهد لها التاريخ الإسلامي بمواقفها الصلبة، وثباتها الشامخ، والتي سطر التاريخ المحن التي مروا بها، أمثال الإمام أحمد بن حنيل، وأبو حامد الغزالي، يقول النورسي ''وقد أخمد أئمة الإسلام العظام كالإمام مالك، والإمام أحمد بن حنبل، والإمام الغزالي، والشيخ الكيلاني، والجنيد البغدادي، نار تلك الفتن التي دبت في مجال الشريعة والعقيدة''.[44]

يؤكّد الأستاذ في اختيار تلك الشخصيات السامقة أنّ الابتلاء سنّة الله في الخلق، فجميع من ذكرهم ممن قادوا الجهاد الفكري ضد حملات الباطل، ابتلوا وامتحنوا، ومن الملاحظ أن النورسي يكتفي بسرد أسماء الشخصيات دون ذكر الأحداث وهو هنا يشارك المتلقي في استدعاء الأحداث التاريخية، والتعايش معها، وهو ما تشير إليه نظريات النقد الأدبي الحديثة التي تؤكد على الدور الفاعل للمتلقي، وتنفي عنه الدور السلبي وتجعل من صلته بالنص متوازية مع صلة المؤلف، ''فالمتلقي حين يقرأ تثار عواطفه واحساساته، ويكون باعثاً لذكرياته وخيالاته، كما أنه يكون باعثاً لأحلامه واستشرافاته المستقبلية ولذلك لا تقل صلة المتلقي بالنص عن صلة الشاعر بنصه''.[45]

أدرك النورسي هذا بحسه الشعري وذوقه الأدبي فشارك المتلقي في بناء النص، ولأن النورسي يعلم أن متلقي رسائله هم طلاب علم وأصحاب دعوى يثق في خلفيتهم الثقافية ومعرفتهم التاريخية، مما يتيح له الإشارة إلى الأحداث دون سردها، واستدعاء الشخصيات دون تعريفها، فهي أعلام لا يجهلها إلا جاهل، وهو ما يعطي النص قيمة جمالية إذ يذهب كل متلقٍ مذهبًا فيتخيل الآلام والعذابات، ويتذوق العطايا والانتصارات، كل على طريقته، وكل على قدر تفاعله مع النص والواقع في آن.

٣- توظيف السرد القصصي: إنّ القصة في أبسط تعريف لها هي ''أُحدوثة شائقة، مرويّة أو مكتوبة، يُقصد بها الإمتاع أو الإفادة''،[46] وترادف بهذا التعريف الحكاية والخبر والرواية، والقصة القصيرة، إلا أنّ مصطلح الرواية والقصة القصيرة ينصرف أكثر ما ينصرف إلى مفهوم هذا الفن المقتبس من الآداب الأجنبية بشكله الحديث، وتتمتع القصة بتأثير قوي في وجدان المتلقي ومشاعره، وذلك نظرًا لتجنبها الخطاب المباشر الذي تأباه النفوس، وتمجه العقول، واعتمادها على الأسلوب الفني الذي يتميز بالحبكة الدرامية والتشويق والإثارة في نقل الأفكار والخبرات، ''والقاص الناجح يجعل القراء يفكرون، ولكن الغرض الأول لكل أنواع القصص المؤثر وغير المؤثر أن يجعل القراء يشعرون''.[47]

وظّف الأستاذ السرد القصصي توظيفًا فنيًا لما حباه الله به من حس شعري وذوق أدبي، جمع بين القيمة الجمالية والرسالة الإبداعية، فعندما أراد أن يخفف على تلاميذه فقدان أحد زملائهم، الذي ترك الدعوة إيثارًا للنجاة يضرب لهم مثالا بقصة شيخ خافت السلطة من كثرة مريديه؛ فقال لهم ليس لي إلا مريد ونصف من هذه الحشود الحاشدة، وليبرهن لهم على ذلك نصب خيمة في ضاحية من ضواحي المدينة، ودعا الألوف من مريديه، وقال من كان حقًا مريدي ويطيع أمري فسيذهب إلى الجنة، ثم قام بذبح خروف وأبدى الأمر كأنه ذبح أحد مريديه ففر الناس من حوله ولم يسمعوا له أو يطيعوا، إلا رجلًا واحدًا دخل الخيمة، ثم تبعته امرأة، ''فقال ذلك الشيخ لرجال الدولة: ها قد شاهدتم أن لي مريدًا ونصف مريد''.[48]

يعقب النورسي على هذه القصة حامدًا الله أن رسائل النور لم تفقد إلا طالبًا ونصف طالب في امتحان اسكي شهر، بينما انضم إليها من أهل اسبارطة عشرة آلاف، مجددًا يقينه في ربه، وثقته في تلاميذه، فيؤكد أنه لن يخسروا -بإذن الله- أحدًا في امتحان دنيزلي، بل سيربحون أتباعا جددًا.

ويوظف في موضع آخر السرد القصصي تعميقا لقيمة الأخوة وستر الأخ على أخيه، فيسرد قصة شخص غير مسلم استطاع الترقي في طريقة صوفية حتى نال مرتبة خليفة الشيخ، وشرع بوظيفة الإرشاد، بيد أن إحدى مريديه كشف أمره، وأنه ساقط في قاع التردي، إلا أن هذا الشخص فطن بفراسته إلى أن مريده قد كشف أمره فقال للمريد: لقد عرفتني إذًا. فأجابه المريد: ما دمت قد بلغتُ هذا المقام بإرشادكم، سأجلك وأوقرك بعد الآن أعظم من قبل. وبدأ بالتضرع لله أن يهدي مرشده، وأن ينقذه من الضلالة، حتى استجاب له الله تعالى، وانقلب الشخص من الفساد إلى الصلاح، ومن السقوط إلى الترقي، وهكذا يصير المريد شيخًا لشيخه – على حد قول النورسي.

كما يشير النورسي إلى درس مهم من هذه القصة، ألا وهو ''ألا يترك الطالب أخاه عندما يراه مبتلىً بفساد، بل يزيد من أخوته معه ويسعى لإصلاحه''[49] ولا يعين الشيطان عليه، فكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون.

وبذات الأسلوب يسرد حكاية طالب علم نحو وصرف توفي أثناء مدارسته لعلمه، فسألاه منكر ونكير: من ربك؟ فأجاب: من: مبتدأ، ربك: خبره، يحسب نفسه أنه في المدرسة لا في القبر.

ومع طرافة الخبر الذي يرويه النورسي فإنه يستخلص منه أن طالب العلم في منزلة الشهداء، حيًا يرزق ويتدارس العلم، وأن من لزم شيئًا مات عليه.

وهكذا جمع السرد القصصي عند النورسي بين الطرافة والتشويق، مع التكثيف والإيجاز الشديد في المتن، مع غزارة وكثافة المعنى والمقصد، وهي قيمة جمالية أحسن النورسي توظيفها أيما إحسان.

## الخاتمة

يقف الباحث مشدوها أمام النورسي وهمته، فقد كان رجلا بأمة وقف برسوخ أمام طغيان مدجج بالسلاح، وشبهات مسمومة يبثها أذناب الغرب ورجاله، تحت رعاية وعناية السلطة وقتئذ، ولكن إن كان هؤلاء الأذناب الذين بذلوا وقتهم وجهدهم لإطفاء شمس الإسلام، فإن النورسي تحت رعاية وعناية المتعالي استطاع بشخصه الضعيف أن يحيي الأمة، وينقذ إيمانها، وخاصة في عقر أرض الخلافة العثمانية تركيا.

قد كان -ولا زال- النورسي مدرسة نحتاج إلى تجديدها وإحيائها، فقد أدى النورسي مهمته على أكمل وجه، وتحتاج الأمة -الآن- في ظل الهجمات الممنهجة ضدها فكريًا وعسكريًا واقتصاديًا، أن ينتدب الشباب المسلم وفي مقدمتهم تلاميذ النورسي لإنقاذ الأمة كما أنقذها النورسي، نحتاج من يكتب رسائل جديدة، تبحث عن

إشارات قرآنية للواقع المعاش، ما أروع كلمات النورسي عندما وصف حاله وحال مولانا جلال الدين الرومي فقال: ''لو كان مولانا جلال الدين الرومي في هذا العصر لكتب رسائل النور ولو كنت أنا في ذلك العصر لكتبت المثنوي، ذلك لأن خدمة الإيمان والقرآن في عصره كانت على ذلك النمط أي بالمثنوي، وأما الآن فإن الخدمة على منهج رسائل النور''.[50]

تحتاج الأمة إلى من نقول عن رسائله لو كان النورسي في هذا العصر لكتب هذه الرسائل، لأن خدمة الإيمان والقرآن اليوم على ذلك النمط، لذا يوصي الباحث بأن يعكف الباحثون على دراسة تجربة النورسي والاستفادة منها في وضع مشروع نهضوي لمواجهة الظروف الراهنة والمحدقة بالأمة، وتوظيف هذه التجربة في موجهة الهجمات الشرسة على الإسلام والأمة الإسلامية من الداخل والخارج.

ومن ثم تصدر لنا دراسات تطبيقية يمكن من خلالها رسم خارطة مستقبل لشباب الأمة ليكونوا قادة ربانيين عاملين، فيتحولوا من الصلاح إلى الإصلاح مقتدين بالنورسي وتجربته الفريدة.

كما يوصي الباحث بالاهتمام بالجانب الجمالي والبلاغي في خطاب النورسي، فالدراسات التي تناولت هذا الجانب قليلة مقارنة بالدراسات الأخرى التي تناولت رسائل النور من قبل، فالنورسي لديه حرارة التجربة وتوهج الشعور مع قلم مبدع، فاتسمت رسائله بالصدق الشعوري والواقعي معا، مع طهارة المعنى وصفاء الفكرة، وهو ما تفتقره كثيرًا من الأعمال الفنية المعاصرة التي تفتقد الصدق الشعوري، أو ينقصها الفكرة السوية، وربما تفقدهما معا.

إن القيم الجمالية لدى النورسي تؤهله عن جدارة إلى أن يكون رائدًا من رواد الأدب الإسلامي الذي يصور الحياة والكون من خلال نفس مؤمنة، فالأدب الإسلامي كما عرّفه نجيب الكيلاني: ''تعبير فني جميل مؤثر، نابع عن ذات مؤمنة، يترجم عن الحياة والإنسان والكون وفق الأسس العقائدية للمسلم، وباعث للمتعة والمنفعة، ومحرك للوجدان والفكر، ومحفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما''.[51]

وغاية الأدب الإسلامي كما يذكر عبد الرحمن رأفت الباشا هي ''ترسيخ الإيمان بالله عز وجل في الصدور وتأصيل القيم الفاضلة في النفوس، وتفجير ما يمكن من طاقات الخير والصلاح''،[52] وهي الغاية عينها التي سعت إليها تحقيقها رسائل النور، لذا فإن الأديب المسلم هو من تسمو أعماله بالفكر، وترقى بالمشاعر نحو الصفاء الروحي، ولا تنحط بها نحو الغرائز الشهوانية، فأعمال الأديب المسلم توقظ الروح

الإسلامية، وتنقيها من اجتيال شياطين الإنس والجن، وتقويها ضد نزوات الهوى والنفس، فإذا أدى الأديب في أعماله هذه الرسالة ''حَظِي بالانتساب إلى الأدب الإسلامي، وعُدّ من الأدباء الإسلاميين''.[53]

من الأخطاء التي وقع فيها النقاد والدارسون للأدب العربي هي حصر الأدب في بعض الفنون دون الأخرى، وقصر غايته -في الأعم الأغلب- على التسلية والمتعة، مع الاهتمام بالزخارف البيانية والفنون البلاغية، وقد أدت هذه النظرة الضيقة إلى حصر الأدب العربي في أغراض محدودة، وحبس الأديب في قفص التقليد لهذه الأغراض المتداولة المتهالكة، فإما أن يكون الأديب مدللا يرضى عنه الأمراء والسلاطين فيصدع بالمديح، وإما أن يكون في ضيق وشدة فيصدح بالهجاء والرثاء والعتاب، هذا هو الأدب عند المؤرخين والدارسين للأدب العربي، إذا كان حرًا طليقا يشدو بما يجيش في النفس من مشاعر وأفكار، وقف له الدارسون والمؤرخون بالمرصاد متهمين إياه بأنه لا صلة له بالأدب والبلاغة، لأنه خرج عن توصيفهم القاصر وبلاغتهم العاجزة، ليس إلا.

فمثلا الرسائل التي كتبت بطريقة عفوية، كالرسائل بين الآباء والأبناء، أو الأصدقاء، أو المذكرات والخواطر الشخصية؛ التي يكتبها الشخص بتلقائية وبشكل طبيعي بعيدًا عن زخرفة الأدباء وتنميق البلغاء، ''قد تكون هذه القطع أكثر جمالًا، وأقوى تأثيرًا، ومثالًا للبلاغة؛ من كثير مما كتبه الكاتبون ليخلد ذكرهم ويضفى عليهم ألقاب البليغ الكبير، والكاتب القدير، والأديب الشهير، لأن الأول أقرب إلى الطبيعة وأكثر اتصالًا بالحياة، وأصدق تعبيرًا عن خلَجات النفس ودقات القلوب، وأسرع دخولًا إلى أعماق النفس الإنسانية، وأكثر مسًّا للقلوب وتحريكًا للمشاعر، والثاني يفقد هذه المعاني، ويتجرد من هذه الأوصاف''.[54]

وهو ما لمسناه في رسائل النورسي التي تعد -من هذا الباب- من أروع الرسائل الأدبية المعبرة عن النفس تعبيرًا صادقًا، والمصورة للحياة تصويرًا حقيقيًا، فجاءت رائقة المعنى رائعة المبنى.

* * *

## المصادر والمراجع


١. إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس، ١٩٨٦م.
٢. أبو الحسن علي الندوي: مقدمة كتاب "الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلامي" لمحمد الرابع الحسني الندوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٨٥.
٣. أحمد بن حنبل: المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الجزء الثالث.
٤. أديب إبراهيم الدباغ: إشراقات قلب ولمعات فكر، دار النيل للنشر ٢٠١٣.
٥. بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.
٦. بديع الزمان سعيد النورسي: اللمعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١١م.
٧. بديع الزمان سعيد النورسي: المثنوي العربي النوري، شركة سوزلر، القاهرة، الطبعة السادسة، ٢٠١١م.
٨. بديع الزمان سعيد النورسي: الملاحق، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١١م.
٩. جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
١٠. جمال الدين فالح الكيلان، وزياد حمد الصميدعي: بديع الزمان سعيد النورسي قراءة جديدة في فكره المستنير، دار الزنبقة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
١١. حسن الأمراني: شعرية النص في المثنوي العربي النوري، مقال بمجلة المناهل المغربية، ع٥٠، مارس ١٩٩٦، ص ٥ - ٤١
١٢. سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة: أورخان محمد علي، كتاب منشور على موقع: ww.iikv.org/ar/books/academic/203.pdf
١٣. ظافر بن عبد الله الشهري: مقال "من صور التلقي في النقد العربي القديم" المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية) المجلد الأول،ع١، مارس ٢٠٠٠م، ص ٥٧ – ٧٦
١٤. عبد الرحمن رأفت الباشا: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٦م.
١٥. عبد القادر بقشي: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي دراسة نظرية وتطبيقية، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٧م.
١٦. علي القاضي: ماذا تعرف عن بديع الزمان سعيد النورسي، دار الهداية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
١٧. نجيب الكيلاني: مدخل إلى الأدب الإسلامي، سلسلة كتاب الأمة القطرية، ع ١٤، سنة ١٤٠٧ه.
١٨. نعيمة سعدية: تحليل الخطاب والإجراء العربي، مجلة الأثر ع ١١، عدد خاص بأشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، جامعة ورقلة بالجزائر، فبراير ٢٠٠٧، ص ٧٦ – ٩٤


* * *

## الهوامش

[1] أستاذ النقد والأدب المقارن المساعد، كلية العلوم الإسلامية – جامعة غيرسون التركية.
[2] نعيمة سعدية: تحليل الخطاب والإجراء العربي، مجلة الأثر ع ١١، عدد خاص بأشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، جامعة ورقلة بالجزائر، فبراير ٢٠٠٧، ص ٨١.
[3] السابق، ص ٧٧.
[4] بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، ط ٢، ١٩٩٣، ص٢٧٧.
[5] الشعاعات: ص٢٧٨.
[6] أورخان محمد علي: سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، ص٨.
[7] علي القاضي: ماذا تعرف عن بديع الزمان سعيد النورسي، دار الهداية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، ص٧.
[8] جمال الدين فالح الكيلان، وزياد حمد الصميدعي: بديع الزمان سعيد النورسي قراءة جديدة في فكره المستنير، دار الزنبقة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص ١٣.
[9] بديع الزمان سيعد النورسي: سيرة ذاتية، ص ٣٦.
[10] السابق: ص ٤٣.
[11] جمال الدين فالح الكيلان، وزياد حمد الصميدعي: بديع الزمان سعيد النورسي قراءة جديدة في فكره المستنير، ص ١٤.
[12] علي القاضي: ماذا تعرف عن بديع الزمان سعيد النورسي: ص ١٤.
[13] بديع الزمان سيعد النورسي: سيرة ذاتية، ص ١٠.
[14] رواه الإمام أحمد في مسنده: ٧٨/٣.
[15] بديع الزمان سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ص ٥٩.
[16] أورخان محمد علي: سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، ص ١٤٥.
[17] بديع الزمان سعيد النورسي: اللمعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص ٣٧٠.
[18] بديع الزمان سيعد النورسي: سيرة ذاتية، ص ٣٢٨.
[19] بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات، ص ٤٠٠.
[20] السابق، ص ٣٦٢.
[21] بديع الزمان سعيد النورسي: اللمعات، ص٣٦٣.
[22] بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات، ص ٣٦٧.
[23] السابق: ص ٣٦٣.
[24] السابق: ص ٣٥١.
[25] بديع الزمان النورسي: الملاحق، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١١م.ص ٢٢٦.
[26] السابق: ص ٢٢٧.
[27] بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات، ص ٤٠٢.
[28] السابق: ص ٣٨١.
[29] السابق: ص ٣٦٩.
[30] السابق: ص ٣٦٩.
[31] السابق: ص ٤٠٢.
[32] أديب إبراهيم الدباغ: إشراقات قلب ولمعات فكر، دار النيل للنشر ٢٠١٣.

[33] حسن الأمراني: شعرية النص في المثنوي العربي النوري، مقال بمجلة المناهل، ع٥٠، مارس ١٩٩٦، المغرب، ص ١٠.
[34] علي القاضي: ماذا تعرف عن بديع الزمان النورسي، ص ٧.
[35] بديع الزمان سعيد النورسي: المثنوي العربي النوري، شركة سوزلر، القاهرة، الطبعة السادسة، ٢٠١١، ص ١٦٣.
[36] السابق: ص١٦٤
[37] أديب إبراهيم الدباغ: إشراقات قلب ولمعات فكر.
[38] عبد القادر بقشي: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي دراسة نظرية وتطبيقية، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٧، ص٢٤.
[39] الصفحة نفسها.
[40] بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات، ص٣٤٩.
[41] السابق: ص٣٥٠.
[42] السابق: ص٣٩٧.
[43] بديع الزمان سعيد النورسي: سيرة ذاتية: ص ٥٣٨.
[44] بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات: ص ٣٨٨.
[45] ظافر بن عبد الله الشهري: من صور التلقي في النقد العربي القديم، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية) المجلد الأول، ع١، مارس ٢٠٠٠م، ص٦١.
[46] جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، ص ٢١٢.
[47] إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس، ١٩٨٦م، ص ٢٧٥.
[48] بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات، ص ٣٧٧.
[49] السابق: ص ٣٧٨.
[50] بديع الزمان سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ص ٥٣٨.
[51] نجيب الكيلاني: مدخل إلى الأدب الإسلامي، كتاب الأمة ع ١٤، سنة ١٤٠٧ه، قطر، ص٣٦,
[52] عبد الرحمن رأفت الباشا: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٦م، ص٩٤.
[53] السابق: ص٩٥.
[54] أبو الحسن علي الندوي: مقدمة كتاب ''الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلامي'' لمحمد الرابع الحسني الندوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٨٥، ص٩٥.